المفاهيم الأخلاقية المستنبطة من الأحاديث النبوية وأثرها في تنمية القيم المجتمعية - كتاب الحديث للصف الرابع الإعدادي في الثانويات الإسلامية انموذجاً-

Ethical concepts derived from the Prophet's hadiths and their impact on developing societal values -The hadith book for the fourth year of middle school in Islamic secondary schools as a model–

م. د. ظاهر ابراهيم ياسين

دائرة التعليم الديني / قسم الإشراف الاختصاصي

أ. د. عدنان علي الفراجي

الجامعة العراقية / كلية التربية

ملخص البحث

إن المفاهيم الأخلاقية هي المعلومات المعرفية المتضمنة للسجايا المرتبطة بالخير والفضائل، وأن هذه المفاهيم يمكن استنباطها من النصوص الحديثية الشريفة لتكوين منظومة قيمية، يمكن الارتقاء بها وفق مبادىء ومعايير مرغوبة حددها الشرع لصالح الأفراد الذين يعيشون في مكان معين وتجمعهم أهداف ومصالح مشتركة , وتُعد الشبهات أكثر ما يقع فيه الإنسان من الحرام . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وبذلك تكون هذه القيمة العظيمة قد نبتت ونمت فيه، وهي مما يحتاجها كل فرد من أفراد المجتمع . ألا وهي الخوف من الله تعالى ومراقبته . وقد كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعدون الصغائر من الموبقات ؛ لشدة خشيتهم لله، وإنه لم يكن لهم كبائر...، فالمحقّرات من الذنوب إذا كثرت صارت كبائر؛ للإصرار عليها والتمادي فيها. والإنسان المستقيم الذي يلتزم منهج تقوى الله تعالى يترفع عن الصغائر، كما يترفع عن الكبائر، وهذا الالتزام الأخلاقي تنعكس آثاره على واقع الإنسان ذاته، كما تنعكس على علاقته الإيجابية مع الآخرين.

الكلمات مفتاحية: ((مفاهيم , أخلاقية , تنمية، قيم مجتمعية))

Abstract

Ethical concepts are the cognitive information that includes the attributes associated with goodness and virtues, and that these concepts can be deduced from the noble hadith texts to form a system of values that can be advanced according to desirable principles and standards set by Sharia law for the benefit of individuals who live in a specific place and are united by common goals and interests. Suspicions are the most common. A person commits a sin in it. Whoever avoids doubts has cleared his religion and honor, and thus this great value has germinated and grown in him, and it is something that every member of society needs. Namely, fear of God Almighty and monitoring Him. The Companions of the Prophet (may God's prayers and peace be upon him and his family) considered minor sins to be calamitous; Because of their intense fear of God, and that there were no major sins for them..., the despised sins, if they become many, become major sins; To insist on it and persist in it. The upright person who adheres to the approach of fearing God Almighty refrains from minor sins, just as he refrains from major sins. This moral commitment has effects on the reality of the person himself, as well as on his positive relationship with others.

Keywords: ((concepts, ethics, development, societal values))

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن من دواعي الاعتزاز أن نكون من المشاركين ببحثنا هذا الموسوم : ((المفاهيم الأخلاقية المستنبطة من الأحاديث النبوية وأثرها في تنمية القيم المجتمعية – كتاب الحديث للصف الرابع الإعدادي في الثانويات الإسلامية انموذجاً–)) .

هدف البحث: يهدف البحث إلى التعريف بأهم المفاهيم الأخلاقية المستنبطة من الأحاديث النبوية الشريفة في كتاب الحديث النبوي المقرر على طلبة الصف الرابع الإعدادي في الثانويات الإسلامية، وأثر هذه المفاهيم في التحصين الفكري للطلبة بخاصة والمجتمع بعامة .

فرضية البحث: للحاجة الماسة إلى تحقيق منظومة قيمية في أوساط الطلبة، ونقلها إلى المجتمع، ولتحقيق هذه الغاية؛ فإن البحث يسعى إلى ترسيخ القيم والمفاهيم المستنبطة من الأحاديث النبوية لتكون سلوكاً عملياً واقعياً للطلبة، والعمل على إيجاد السبل اللازمة لجعلها ذات تأثير على الواقع المجتمعي .

أهمية البحث وسبب اختياره: تُعد المناهج الدراسية في الثانويات الإسلامية من بين الوسائل التي يمكن من خلالها تكوين جيل من الطلبة تتحقق فيهم المفاهيم والقيم الوجدانية والمعرفية والسلوكية بالوقوف على أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وذلك أن المناهج التعليمية تقاس قيمتُها بما تقدمه للدارسين، وما تكسبه لهم من مهارات وخبرات واساليب سلوكية لبيان مدى الافادة منها في المواقف الحياتية المختلفة ؛ لكي يكونوا على جانب كبير من التحصين الفكري، والسيرة الحسنة.

منهج البحث: يعتمد البحث المنهج الوصفي الموضوعي، يتم فيه تحديد المفاهيم الأخلاقية الوجدانية والسلوكية الواردة في كتاب الحديث النبوي للصف الرابع الاعدادي في الثانويات الاسلامية، ومدى تأثيرها في واقع أمثل للطلبة والمجتمع .

خطة البحث ونطاقه: انتظم البحث في هذه المقدمة ومبحثين وخاتمة فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع، والمبحث الأول: تم تخصيصه للتعريف بمفردات عنوان بالبحث (المفتاحية)، وأما المبحث الثاني: فتناول المفاهيم الأخلاقية الوجدانية المستنبطة من الأحاديث النبوية وأثرها في تنمية القيم المجتمعية والتي تم اختيارها من المنهج الدراسي للصف الرابع الاعدادي وهي: البعد عن الشبهات وتحقق الطمأنينة في الصدق والخيانة في الكذب، والتحذير من الذنب، واجتناب المحارم، وأخيرا، ندعو الله تعالى أن يكلل جهود القائمين عليه بالتوفيق والنجاح، وأن تكون أعماله ونتائجه في خير ومصلحة مجتمعنا المعطاء، وبلدنا العزيز . والحمد لله أولاً وآخراً.

المبحث الأول :- التعريف بمفردات عنوان البحث

نقف مع بعض المفردات المفتاحية الضرورية :

- أولاً: المفاهيم: الفهم في اللغة هو العلم بالشيء، قال ابن منظور[١]: «الفَهْمُ معرفتك الشيء بالقلب، فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة عَلِمَه ... وفَهِمْت الشيء عَقَلْتُه وعرَفْته، وفَهَّمْت فلاناً وأَفْهَمْته وتَفَهَّم الكلام فَهِمه شيئاً بعد شيء ..».

وفي الاصطلاح ؛ عرفه الكفوي[٢] بقوله: «الفهم: هو تصور الشيء من لفظ المخاطب، والإفهام: إيصال المعنى باللفظ إلى فهم السامع».

- ثانياً :- الأخلاقية ؛ الخُلُقُ: السجِيّةُ... وفلانٌ يَتَخَلَّقُ بغير خُلُقِه، أي يتكلَّفه. قال الشاعر:

«إنَّ التَخَلُّقَ يأتي دونَه الخُلُقْ»[٣]، والأخلاق في المصطلح :- قالوا عنها بإيجاز: «الأخلاق هي خيرات وفضائل وأطرافها شرور ورذائل»[٤]. و«صناعة الأخلاق تعني بتجويد أفعال الإنسان بحسب ما هو إنسان»[٥].

وبذلك تكون مفردتي: المفاهيم الأخلاقية؛ أي المعلومات المعرفية المتضمنة للسجايا المرتبطة بالخير والفضائل .

- ثالثاً :-المستنبطة: الاستنباط ؛ يعني استخراج الشيء قال الأزهري[٦]: «اسْتنبط الْفَقِيه: إِذا استخرج الفِقَه الباطنَ بِاجْتِهَادِهِ وفَهْمِه قَالَ الله تَعَالَى﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴿٨٣﴾ ﴾ (النِّسَاء: ٨٣)، وَقَالَ الزَّجاج: معنى يستنبطونه فِي اللُّغَة: يستخرجونه».

والاستنباط: اصطلاحا «استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن، وقوة القريحة»[٧]. وعرفه البعض

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم، (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ، ١٢/ ٤٥٩ .

(٢) الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٦٩٠ .

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري،(ت: ٣٩٣هـ) ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٤/ ١٤٧١ .

(٤) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، بلا . ت . ص٣٧ .

(٥) المصدر نفسه، ص٤٦ .

(٦) تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ١٣/ ٢٥٠ .

(٧) التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،

بأنه: «ظن المجتهد مما لا يمكن فيه القطع من الكتاب والسنة بعد الاجتهاد والتأمل»[1]. فالاستنباط: استخراج المعنى المراد من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة .

- رابعاً :- تنمية: النمو في اللغة يعني الارتفاع بالشيء قال ابن منظور[2]: «نَمَيْته رَفَعْتُهُ عَلَى وَجْهِ الإصلاح...؛ يُقَالُ: نَمَيْت الْحَدِيثَ أَي رَفَعْتُهُ وأَبلغته. ونَمَيْتُ الشيءَ عَلَى الشَّيْءِ: رَفَعْتُهُ عَلَيْهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ رَفَعْتَهُ فَقَدْ نَمَيْته..».

وفي الاصطلاح: التنمية تعني الارتقاء أو التطور؛ وهي «الزيادة الإضافية في مقدار الخاصية أو الصفة السلوكية ... وهذه التغيرات السلوكية ترتبط ارتباطًا منتظمًا بالعمر الزمني»[3].

- خامساً :- القيم: القوامُ في اللغة: الشيء الحسن والنظام ؛ فـ«قوامُ الرجل قامَتُهُ وحسن طوله... وقوام الأمر بالكسر: نظامه وعِماده ... يقال: فلانٌ قِوامُ أهل بيته وقِيامُ أهل بيته، وهو الذى يقيم شأنهم... وقِوامُ الأمر أيضا: ملاكه الذى يقوم به»[4].

والقيم في الاصطلاح: «حكمٌ يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المباديء والمعايير التي اقتضاها الشرع، محدّدا المرغوب فيه والمرغوب عنه»[5].

- سادساً: المجتمع: في اللغة يعني التجمع وهو من «جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع... وتجمَّع الْقَوْمُ: اجْتَمَعُوا أَيضاً من هاهنا وهاهنا... وَقَوْمٌ جَمِيعٌ: مُجْتَمِعون. والمَجْمَع: يَكُونُ اسْمًا لِلنَّاسِ وَلِلْمَوْضِعِ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ فِيهِ»[6]. ، وفي الاصطلاح: عرفه أحد الباحثين بقوله: «المجتمع الإنساني عدد هائل من الأفراد، جمعت بينهم روابط، وأهدف مشتركة، واستقرار في أرض، والتزموا بعرف، أو قانون»[7]. والمجتمع المسلم هو: «عدد هائل من الأفراد المسلمين، جمعت بينهم مصالح، وعاشوا معًا في

ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٢٢ .

(١) الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص١٠٧٠ .

(٢) ()لسان العرب، ١٥/٣٤٢ .

(٣) نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، آمال صادق – فؤاد أبو حطب، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط٤، بلا , ت . ص١١ .

(٤) الصحاح، الجوهري، ٥/٢٠١٧ . لسان العرب، ابن منظور، ١٢/٥٠٣ .

(٥) ()الصراع القيمي لدى الشباب من منظور التربية الإسلامية، الشحات، د. السيد حسن أحمد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٨ه، ص٥٧.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ٨/٥٣ .

(٧) المجتمع والأسرة في الإسلام، د. محمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣ ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م، ص١٤ .

أرض واحدة، واتبعوا الإسلام عقيدة، ومنهج حياة»[١].

وبناء على ذلك يكون المقصود من تنمية القيم المجتمعية: الارتقاء بها وفق مبادىء ومعايير مرغوبة حددها الشرع لصالح الأفراد الذين يعيشون في مكان معين وتجمعهم أهداف ومصالح مشتركة .

المبحث الثاني:
المفاهيم الأخلاقية الوجدانية المستنبطة من الأحاديث النبوية وأثرها في تنمية القيم المجتمعية

المطلب الأول :- البعد عن الشبهات ولزوم الصدق والبعد عن الكذب :

ورد الحديث الشريف في كتاب الحديث للصف الرابع الإعدادي بالنص الآتي: «عَنْ أَبِي الحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ ..» [٢].

تضمن الحديث الشريف مفهوماً أخلاقياً وجدانياً له علاقة بالقيم التي يحتاجها طالب العلم والمجتمع على حد سواء .

فالنبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) دعا إلى البعد عن الشبهات بلفظ بليغ وجزل هو (دعْ): ومن دلالته الدفع والزجر، قال الأزهري: «الدَّعُّ: الدفْع. وقَوْله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ (المَاعون: ٢)، أَي يَعنُف بِهِ دفعا وانتهاراً»[٣].

ونص الحديث يُرْوَى بِفَتْحِ الياءِ وَضَمِّهَا، ففي النص أعلاه ورد بفتح الياء، وجاء أيضاً بضمّها «دَعْ مَا يُرِيبُك إِلى مَا لَا يُرِيبُكَ»[٤]. وعند اهل اللغة أن: «الرَّيْبُ والرِّيبةُ: الشَّكُّ، والظِّنَّةُ، والتُّهمَةُ... والرَّيْبُ:

(١) المصدر نفسه، ص١٤ .

(٢) الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م، ٤/٢٤٩، رقم الحديث: ٢٥١٨ . وينظر: مسند أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، ٢/٣٤٥، رقم الحديث: ١٧٢٢ .

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، ١/٧١ .

(٤) مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت: ٢٩٢هـ) ،تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٨م، ٤/١٦٥، برقم: ١٣٣٦ . الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد

مَا رابَك مِنْ أَمْرٍ... ورابَنِي فُلاَنٌ يَرِيبُنِي إِذا رَأَيتَ مِنْهُ مَا يَرِيبُك، وتَكْرَهُه... واسْتَرَبْتُ بِهِ إِذا رأَيتَ مِنْهُ مَا يَرِيبُك»[1].

ومعناه: دَعْ مَا تَشُكُّ فِيهِ إِلى مَا لَا تَشُكُّ فِيهِ. و: « دع ما تشك فيه ولا تتيقن إباحته، وخذ ما لا شك فيه ولا التباس»[2] . ويرتبط بهذا الحديث حديث آخر قريب منه يحذر فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشبهات التي تسبب الريبة والشك، فعنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ(رضي الله عنه)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: « إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ» [3].

أكثر الريبة تأتي من الحوم حول الشبهات، لذا تُعد الشبهات أكثر ما يقع فيه الإنسان من الحرام؛ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه –كما ورد في النص الشريف – وبذلك تكون هذه القيمة العظيمة قد نبتت ونمت فيه، وهي مما يحتاجها كل فرد من أفراد المجتمع . ألا وهي الخوف من الله تعالى ومراقبته .

فإذا تحقق للإنسان الخوف والمراقبة – وهي مسألة وجدانية – انعكس ذلك على تحقق الصدق في تصرف الإنسان الذي هو طمأنينة، وأن الطمأنينة هي بحد ذاتها شعور داخلي ينمي في الإنسان لزوم الجانب الخلقي الرفيع الذي يقف على رأسه الصدق، ويتجنب فيه الكذب لأنه ريبة، والريبة مما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجتنبه بنص الحديث بحثنا في هذا المطلب بل إن الصدق من المفاهيم الوجدانية التي تؤدي بصاحبها إلى الجنة، وأن الكذب يؤدي بصاحبه إلى النار . ففي الحديث عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: « قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إِلى البِر، وإن البِر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يَصْدُق حتى يُكتبَ عند الله عز وجل صدّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلي النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى

بن حبان التميمي، أبو حاتم البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان (ت: ٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ٤٩٨/٢، برقم: ٧٢٢ .

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤٤٢/١ .

(٢) شرح صحيح البخارى، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، ١٩٦/٦ .

(٣) الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦ه)، المحقق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة (عن الطبعة الأميرية)، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠/١ رقم الحديث: ٥٢ . الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بلا . ت . ١٢١٩/٣، رقم الحديث: ١٥٩٩ . واللفظ لمسلم.

يُكتب عند الله عز وجل، كذاباً»[1].

والتحذير من المداومة على ذلك لخطورته ؛ «فالصدق لا يكون عند الإنسان خلقًا إلا إذا استمر عليه، وأصبح سجية وعادة له يقول الصدق دائمًا، ويمارس ذلك باستمرار، ولا يسمى من يكذب مرة أو مرتين بحياته أنه تخلق بالكذب، ويقال عنه الكذاب، وإنَّما الكذاب هو الذي يُمارس الكذب، ويصبح الكذب عنده صفة لازمة»[2].

إن الإنسان السوي يجعل قلبه متعلقاً بالله تعالى، فيكون بعيداً عن الشُبهات، صادقاً في قوله وعمله، بعيداً عن الكذب والمراوغة . وهذه الأمور بحد ذاتها قيمة عظيمة يحتاجها الطالب والمجتمع على حد سواء . ومن لطيف ما ذكره المحاسبي[3] قوله: « وَاعْلَم أَن الْعَاقِل لما صَحَّ علمه وَثَبت يقينه علم أَن لَا ينجيه من ربه إِلَّا الصدْق، فسعى فِي طلبه، وَبحث عَن أَخْلَاق أَهله رَغْبَة فِي أَن يحيى قبل مماته، ليستعد لدار الخلود بعد وَفَاته، فَبَاعَ نَفسه وَمَاله من ربه حَيْثُ سَمعه يَقُول: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴿١١١﴾ ﴾ (التوبة: ١١١)، فَعلم بعد الْجَهْل وَاسْتغْنى بعد الْفقر وَأنس بعد الوحشة وَقرب بعد الْبعد واستراح بعد التَّعَب فائتلف أمره وَاجْتمعَ همه، فشعاره الثِّقَة، وحاله المراقبة...».

المطلب الثاني: التحذير من الذنب :

ورد نص الحديث الشريف كالآتي: « عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعَرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمُوبِقَاتِ» [4]

هذا الحديث الشريف أخرجه الإمام البخاري وغيره، وهو من الأحاديث الجامعة في المفاهيم الأخلاقية الوجدانية، وقد اهتم به العلماء الذين شرحوا صحيح الإمام البخاري (رحمه الله) قديماً وحديثاً، وأولوه من الشرح والعناية، لما كان عليه حال الصحابة (رضي الله عنهم) من التقوى والورع، فمما ورد في ذلك: «إنما كانوا يعدون الصغائر من الموبقات ؛ لشدة خشيتهم لله، وإنه لم يكن لهم كبائر...، والمحقرات إذا كثرت

(١) مسند أحمد، ٣/ ٥٢٤ ، (تحقيق شاكر)، رقم الحديث: ٣٦٣٦ . وينظر: الجامع الصحيح، البخاري، ٨/ ٢٥، رقم الحديث: ٦٠٩٤ .

(٢) مَوْسُوعَةُ الأَخْلاَقِ، خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت ،ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ص٩٦ .

(٣) رسالة المسترشدين، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت: ٢٤٣هـ) ،تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - سوريا، ط٢، ١٣٩١ه - ١٩٧١م، ص١٠٥ .

(٤) الجامع الصحيح، البخاري، ٨/ ١٠٣، رقم الحديث: ٦٤٩٢ . وينظر: مسند أحمد، (ط الرسالة)، ٢٠/ ٥٤، رقم الحديث: ١٢٦٠٤ .

صارت كبائر؛ للإصرار عليها والتمادي فيها، ... وعن أسلم أبي عمران أنه سمع أبا أيوب يقول: إن الرجل ليعمل الحسنة (فيثق) بها، ويعمل المحقرات فيلقى الله يوم القيامة، وقد أحاطت به خطيئته، وإن الرجل ليعمل السيئة فما يزال منها مشفقًا حذرًا حتى يلقى الله يوم القيامة آمنًا. وذكر أسد بن موسى، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: إياكم ومحقرات الذنوب، فإنها تجمع حتى تهلك صاحبها»[1].

وهذا الحديث يرتبط بمقطع من آية قرآنية كريمة هي قوله سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ (النور: ١٥). وللرازي رحمه الله في تفسيرها كلام بليغ إذ يقول: « إِنَّ عِظَمَ الْمَعْصِيَةِ لَا يَخْتَلِفُ بِظَنِّ فَاعِلِهَا وَحُسْبَانِهِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ مُؤَكِّدًا لِعِظَمِهَا مِنْ حَيْثُ جَهْلِ كَوْنِهَا عَظِيمًا، ...(وأن) الْوَاجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ فِي كُلِّ مُحَرَّمٍ أَنْ يَسْتَعْظِمَ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ، إِذْ لَا يَأْمَنُ أَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَقِيلَ: لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ»[2].

ومن الأحاديث الشريفة ذات الصلة بمضمون هذا الحديث، ما رواه عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ: أَنَّ عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا»[3].

كذلك ضرب لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثلاً على ما يترتب على الذنوب الصغيرة وأثرها السلبي على أصحابها، فعن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم لان محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه»[4].

إن الإنسان المستقيم الذي يلتزم منهج تقوى الله تعالى يترفع عن الصغائر، كما يترفع عن الكبائر، وهذا الالتزام الأخلاقي تنعكس آثاره على واقع الإنسان ذاته، كما تنعكس على علاقته بالآخرين، فلا يتصرف إلا بحدود الشرع، ومعلوم أن معظم الذنوب صغائرها وكبائرها هي بحق الذات الإنسانية، أو بحق البشر

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح: ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م،

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٢٠هـ، ٣٤٣/٢٣ .

(٣) مسند أحمد، (ط الرسالة)، ٩٦/٤٢، رقم: ٢٥١٧٧ . وينظر: المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، بلا . ت. ١٢٤/٤، رقم: ٣٧٧٦ .

(٤) المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني ...، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط٢، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م، ١٦٥/٦، رقم الحديث: ٥٨٨٢ .

الآخر بالتجاوز عليه في غمط حقوقه وحريته، أو صرفه عما يستحق أن يقوم به من مهام وواجبات.

المطلب الثالث: غيرة الله تعالى على دينه . (في النهي عن المحارم) :

ورد نص الحديث عند البخاري [١] بالنص الآتي: « عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ « . و» معنى غيرَة الله تَعَالَى الزجر عَن الْفَوَاحِش وَالتَّحْرِيم لَهَا وَالْمَنْع مِنْهَا، لِأَن الغيور هُوَ الَّذِي يزْجر عَمَّا يغار عَلَيْهِ، وَقد بَين ذَلِك بقوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: وَمن غيرته حرم الْفَوَاحِش، أَي: زجر عَنْهَا وَمنع مِنْهَا. وَقَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: غيرَة الله أَن لَا يَأْتِي الْمُؤمن مَا حرم الله عَلَيْهِ – [٢].

قال بدر الدين العيني [٣] في تعليقه على الحديث: « .. فَلاَ بُد من تَقْدِير نَحْو أَن لَا يَأْتِي أَي: غيرَة الله على النَّهْي عَن الْإِتْيَان، أَو على عدم إتْيَان الْمُؤمن بِهِ، وَهُوَ الْمُوَافق لما تقدم حَيْثُ قَالَ: وَمن ذَلِك حرم الْفَوَاحِش، فَيكون مَا فِي النّسخ صَوَابا» . فأياً كان الأمر بأحد الوجهين فإن فيها من التحدي لغيرة الله تعالى على حرمات هذا الدين ما لا يخفى .

وأهم ما في الحديث هي الجانب الوجداني فيه، وهي ما يجب على المؤمن أن ينتبه إليه ألا وهو غيرة الله تعالى وهي صفة إلهية عظيمة، ويمكن للمؤمن أن يتصف بها على قدر بشريته، وقد كان أصحاب رسول الله على جانب من الغيرة، فهذا سعد بن عبادة (رضي الله عنه) يقول للنبي (صلى الله عليه وسلم): « لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ! لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي».[٤]

وثمة زيادة في الحديث في موضع أخر هي: « مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ»[٥].

فالغيرة أمر محمود في الشرع من المؤمن، عندما ترتكب المحرمات، ولذلك ورد الحديث عند مسلم [٦]

(١) الجامع الصحيح، ٧ / ٣٥، رقم الحديث: ٤٨٢٢ .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بلا، ت . ٢٠/ ٢٠٥، برقم :٣٢٢٥ .

(٣) عمدة القاري، العيني، ٢٠/ ٢٠٧، برقم :٣٢٢٥ .

(٤) صحيح البخاري، ٨/ ١٧٣ . برقم: ٦٨٤٦ .

(٥) صحيح البخاري، ٩/ ١٢٣، برقم: ٧٤١٦ . مسلم ٢/ ١١٣٦، ١٤٩٩ .

(٦) صحيح مسلم، ٤/ ٢١١٤، برقم: ٢٧٦١

والترمذي[1] بلفظ : « إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ».

وأفضل ما وجدت من تعليق على هذا النص الشريف مما يمكن أن يكون توجيهاً وإرشاداً، ومفهوماً خُلقياً، يُنمي قيمة اجتماعية معتبرة ما نصه: « ووجه ذلك؛ أنّ المسلم الّذي يطيع هواه أو ينقاد للشّيطان ويقع في محارم الله، فكأنّه جعل لغير الله فيه نصيبا، ولمّا كانت الطّاعة خاصّة بالله– عزّ وجلّ– ويأبى أن يشاركه فيها غيره، كان ذلك مبعثا لأن يستثير العاصي غضب مولاه وغيرته عليه، وما ذلك إلّا لأنّ المولى– سبحانه وتعالى– لا يرضى لعباده المعصية كما لا يرضى لهم الكفر، ومن ثمّ تكون من جانب الله تعالى غيرة حقيقيّة على ما يليق بجلاله وكماله، ومن لوازمها: كراهية وقوع العبد في المعاصي وإشراكه غير الله فيما هو حقّ المولى وحده من التزام بأوامره، واجتناب لمعاصيه»[2]. إن أحوج ما نحتاج إليه اليوم هو خُلق الغيرة، لأن فيه صفات الشرف، والعزة، والشهامة، والعفة، والنبل . وفي الغيرة تعظّم الحرمات . إن ما نراه من سلبيات وخوارم العادات في المجتمعات من انتهاك الحرمات، واتباع الهوى، والخنوثة، والدياثة، والفسوق، والتبرج، لا يمكن علاجها إلا بغيرة المؤمنين الصادقين .

فالمعاصي والذنوب تقف حائلاً أمام غيرة الإنسان، ومن الكلام القيم لابن القيم[3] في ذلك قوله: «والمقصود أن المعاصي كلما اشتدّت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه، وأهله، وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جداً حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه، ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحدّ، فقد دخل في باب الهلاك؛ ولهذا كان الدّيوث من أخبث الخلق، والجنة حرام عليه؛ لأنه لا غيرة له؛ ولهذا رضي بالسوء في أهله، وهذا يدلّ على أن أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب وتحمي له الجوارح، وتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب، فتموت له الجوارح فلا يبقى عندها دفع البتة».

فغاروا لربكم أولاً، ولأنفسكم وأهليكم ثانياً، ولمجتمعكم ثالثاً .

(١) جامع الترمذي، ٢/٤٥٨، برقم: ١١٦٨.
(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤، بلا . ت . ٧/٣٠٧٨ .
(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت، بلا . ت. ص٤٥ .

الخاتمة

بعد إنجاز هذا البحث المتواضع، لا بد من الوقوف على بعض الاستنتاجات وكالآتي:

١- إن المفاهيم الأخلاقية هي المعلومات المعرفية المتضمنة للسجايا المرتبطة بالخير والفضائل، وأن هذه المفاهيم يمكن استنباطها من النصوص الحديثية الشريفة لتكوين منظومة قيمية، يمكن الارتقاء بها وفق مبادىء ومعايير مرغوبة حددها الشرع لصالح الأفراد الذين يعيشون في مكان معين وتجمعهم أهداف ومصالح مشتركة .

٢- تُعد الشبهات أكثر ما يقع فيه الإنسان من الحرام . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه -كما ورد في النص الشريف - وبذلك تكون هذه القيمة العظيمة قد نبتت ونمت فيه، وهي مما يحتاجها كل فرد من أفراد المجتمع . ألا وهي الخوف من الله تعالى ومراقبته.

٣- كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) يعدون الصغائر من الموبقات ؛ لشدة خشيتهم لله، وإنه لم يكن لهم كبائر...، فالمحقّرات من الذنوب إذا كثرت صارت كبائر؛ للإصرار عليها والتمادي فيها .

٤- إن الإنسان المستقيم الذي يلتزم منهج تقوى الله تعالى يترفع عن الصغائر، كما يترفع عن الكبائر، وهذا الالتزام الأخلاقي تنعكس آثاره على واقع الإنسان ذاته، كما تنعكس على علاقته الإيجابية مع الآخرين.

المصادروالمراجع

- القرآن الكريم

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان = (ت: ٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢. التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٣. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، بلا . ت .

٤. تهذيب اللغة: الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م .

٥. التوضيح لشرح الجامع الصحيح: ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

٦. التوقيف على مهمات التعريف: المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي القاهري (ت١٠٣١ه)، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٠ه/١٩٩٠م .

٧. الجامع الصحيح: مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بلا . ت .

٨. الجامع الصحيح: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦ه)، المحقق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة (عن الطبعة الأميرية)، ط١، ١٤٢٢هـ .

٩. الجامع الكبير – سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م .

١٠. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء): ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت ٧٥١ه)، دار الكتب العلمية – بيروت، بلا . ت.

١١. رسالة المسترشدين، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت: ٢٤٣هـ) ،تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – سوريا، ط٢، ١٣٩١ه – ١٩٧١م.

١٢. شرح صحيح البخاري: ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

١٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري،(ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بلا، ت .

١٥. الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

١٦. لسان العرب: محمد بن مكرم، (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤هـ.

١٧. مسند أحمد : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة ،ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م . و: ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م،

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، إشراف: د عبد الله التركي .

١٨. مسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت: ٢٩٢هـ) ،تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٨م .

١٩. المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، بلا . ت.

٢٠. المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني ...، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط٢، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م .

٢١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ .

٢٢. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٢٣. مَوْسُوعَةُ الأَخْلاَقِ: خالد بن جمعة الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت ،ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

٢٤. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم: عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤، بلا . ت .

٢٥. نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين: آمال صادق – فؤاد أبو حطب، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط٤، بلا , ت .